

دور مدرسة بوزريعة ولحمة عن اهتمامات المعلمين المسلمين

[1865-1939م]

أ / نفيسة دويبة
استاذة محاضرة بالمدرسة
العليا للاساتذة ببوزريعة.

نص

تبحث هذه المداخلة في نقطتين رئيسيتين هما:

- 1- التعريف بمدرسة المعلمين، وتقديم ملاحظات عن منهج التعليم بها، ونركز بالأخص على وضعية المعلمين الجزائريين المسلمين.
- 2- اعطاء بعض النماذج لمعلمين مسلمين، ومتابعة نشاطهم خارج دائرة الوظيفة الاساسية المنوطة بهم.

ويكمن هدف الدراسة في محاولة رصد جهود بعض خريجي المدرسة الفرنسية (مدرسة المعلمين) أثناء ممارستهم لمهنة التعليم للتعرف على تلك التغيرات التي ساهموا في احداثها في نفوس تلاميذهم ومحيطهم، ومن ثمة استكشاف اهتماماتهم ونشاطاتهم الاخرى، والتي تنافت تمامًا في بعض المرات مع ما تلقوه من تكوين موجه. وكانت هذه الفئة إلى حد ما قليلة العدد؛ لكنها شكلت فضاءً آخرًا داخل نسيج الكتلة الجزائرية المهتمة بالقضية الوطنية، وذلك بغض النظر عن خصوصيتها كشريحة تعاملت وتفاعلت مع الأجهزة الإستعمارية.

وفي البداية لابد من الاشارة إلى أن مؤسسات التعليم في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية¹ (لاسيما في القرن 19م) انقسمت إلى ثلاثة انواع هي:

- 1- المدارس الرسمية أو الشرعية (Medersa): عددها ثلاث: بالجزائر العاصمة، قسنطينة، وتلمسان، وقد هدفت إلى تخريج اصحاب

الوظائف الادارية الرسمية من قضاة ورجال القانون ومدرسين في المساجد وغيرها وموظفي الدوائر المدنية.

2- مدارس ترشيح المعلمين (Normale): ويتخرج منها المعلمون والمساعدون والممرنون، ومن يرتبط بآدارة المدارس الابتدائية.

3- المدارس الحرة: وتضم المؤسسات العربية الحرة من مساجد وزوايا وكتاتيب، وهي لا تتبع في ادارتها للسلطة الفرنسية².

وسنعتي فكرة موجزة عن ظروف تأسيس مدرسة المعلمين (L'ecole normale d'intituteurs) فهي مؤسسة تعليمية فرنسية هدفت لتكوين نخبة من المعلمين الفرنسيين والجزائريين على السواء مهمتها الاساسية هي ممارسة التعليم بالمدارس الابتدائية، وقد تعداها في بعض الحالات إلى الاشراف وتسيير تلك المدارس سواء كمديرين أو مشرفين أو مفتشين. تأسست المدرسة الاولى بمدينة الجزائر بموجب المرسوم الامبراطوري المؤرخ في 04 مارس 1865م والقرار الوزاري الصادر في 03 اوت من نفس السنة. أما عن دواعي ظهورها فكانت حاجة المدارس المفتوحة حديثاً للمعلمين والمؤطرين، خاصة في ظل تزايد عدد المهاجرين الأوروبيين إلى الجزائر، بالاضافة إلى انه جاء تلبية لدعم المدارس "المختلطة" التي تطور عددها من ست (06) سنة 1850م إلى اربعة وثلاثين (34) سنة 1870م³.

وما نلاحظه بخصوص قرار انشاء مدرسة المعلمين، وإمكانية التحاق الجزائريين المسلمين بها هو ذلك النقاش المطول الذي دار بين الاجهزة الرسمية الاستعمارية، والذي انتهى بإقرار توصية تؤكد على ضرورة تعليم الجزائريين عن طريق توظيف اخوانهم المتكونين كمعلمين، واشراكهم في دور الوساطة "المعرفية" بين المسلمين والادارة، أو فيما اصطلح عليه بالدور الادماجي للمدرسة.

وقد صرح الحاكم العام بالجزائر شارل جونار Jounart سنة 1910م "ان المدرسة تمثل في فرنسا حجر الزاوية بالنسبة للنظام الجمهوري، اما

هنا فهي ركيزة من ركائز سيطرتنا"، لأنها تلقي في روح المهزومين فكرة مثالية عن الأمة المنتصرة، وتخلق في نفوسهم الرغبة في خدمتها⁴.

وكان المبرر الذي اتخذته السلطة ازاء انشاء مدرسة المعلمين فتمثل في اقبال الجزائريين انفسهم على التعليم بعد فترة طويلة من الانقطاع والتردد، وكان واضحاً أن الهدف الأساسي لفتح مدارس خاصة بالجزائريين هو محاولة ربطهم بالبيئة واللغة والثقافة الفرنسية، وهي المهمة التي ستوكل للمعلمين الملقنين بما يكفي لتأديتها. وهذا بالتحديد ما تضمنه تقرير وزير الحرب الماريشال راندون Randon الموجه للإمبراطور في 04 مارس 1865م عن تطور تعليم الجزائريين في المدارس العمومية والحرّة والمختلطة، وحتى في دروس الكبار. وأكد ان الاهالي باتوا يهتمون بالتعليم، وبناءً على هذا التأكيد صدر المرسوم السابق الذكر⁵. وقد قال لودوك Le Duc احد مدراء مدرسة المعلمين عن ذلك "انها اسلم الاسلحة للغزو، واخماد الفتن نهائياً في المستعمرة"⁶.

وقد افتتحت مدرسة المعلمين بالعاصمة في اول موسم دراسي لها في سبتمبر 1865م، واتخذت مقراً لها بناية راقية على الطراز المغربي تقع وسط مدينة الجزائر؛ اطلق عليها اسم مدرسة مصطفى العليا⁷ Mustapha superieur، وهي تشرف على البحر، ولا تبعد عنه إلا ببضع كيلومترات، وتتوسط الحدائق الجميلة. كما انها جهزت واحتوت كل المرافق الضرورية من قاعات للتدريس، مدرج، اقسام إدارية قاعة للأساتذة، قاعة علاج، شبه مخابر، بالإضافة إلى مسكن البواب، ومراقد التلاميذ⁸.

وضمت المدرسة في موسمها الاول اربعة أقسام: اثنان للأوروبيين، والثالث مختلط، والرابع للجزائريين، لكن نظراً لقلّة عدد المترشحين من الجزائريين الحائزين على شروط القبول، والذين اجتازوا مسابقة الدخول؛ فقد ضم عدد المقبولين منهم، وعددهم ثلاثة (03) للقسم المختلط. وكانت

مدة الدراسة ثلاث سنوات تختتم بنيل الشهادة؛ بعدها يوجه المتخرجون مباشرة لتأدية مهامهم كمعلمين⁹.

• شروط القبول في مدرسة المعلمين:

للالتحاق بمدرسة المعلمين وضعت بعض الشروط "الضرورية" وذلك منذ بداية افتتاحها، والأمر يتعلق خاصة بالتلاميذ الجزائريين، حيث كان يتوجب عليهم تقديم طلب لمدير التعليم (recteur)، وان يتراوح سن المترشحين ما بين 16 و22 سنة، وضرورة تقديم شهادة ميلاد تثبت العمر ومكان الازدياد، بالإضافة لشهادة طبية، وشهادة اثبات المستوى الدراسي التي تقدمها المدارس الشرعية الثلاث، وإمضاء تعهد يلتزم فيه الطالب بممارسة التعليم لفترة معينة، وشهادة حسن السيرة والسلوك يقدمها له مدير المدرسة التي زاول بها دراسته، او يمنحها قائد الناحية التي يسكنها. وبعد تكوين الملف يجتاز التلميذ امتحان القبول وفقاً للعدد المسموح به للتلاميذ الجزائريين وليس تبعاً لنتائج الامتحان¹⁰.

وفي سنة 1882م أنشأت دروس (cours) خاصة بالمعلمين الأهالي، وألحقت بمدرسة المعلمين بالعاصمة وقسنطينة (وألغيت في قسنطينة سنة 1887م)، وهذه الدروس لا تخص طبعا القسم الفرنسي في المدرسة.

اما عن مدة الدراسة بمدرسة المعلمين والخاصة بالأهالي؛ فقد تقرر في البداية ان تكون لسنتين، لكنها منذ سنة 1892م اصبحت تمتد لثلاث سنوات، وقد تزيد أحيانا الى سنة رابعة تخصص للتدريب في حال عدم مباشرة العمل لسبب من الاسباب¹¹.

وابتداء من سنة 1891م اضيف فرع خاص في مدرسة المعلمين يخص التلاميذ - المعلمين الفرنسيين الموجهين للتعليم الاهلي؛ يتلقى فيها التلميذ الفرنسي طيلة سنة معلومات اضافية وطرق تربوية في كيفية التعامل والتواصل مع ابناء المسلمين، وكيف يتأقلم مع البيئة والعقلية الجزائرية.

وكلاً من الدروس الخاصة والفرع الخاص من ابتكار مدير التعليم جانمير Jeanmaire الذي يعتبره البعض المنظم الحقيقي للتعليم الأهلي في الجزائر.

• نظام الدراسة بمدرسة المعلمين:

لقد تميز نظام الدراسة بمدرسة المعلمين منذ تأسيسها بالصرامة والانضباط، ونص القانون الداخلي¹² على الكثير من المواد التنظيمية المتعلقة بحياة هؤلاء داخل وخارج المدرسة؛ نذكر منها مثلاً:

1- منعهم من احداث الفوضى والضجيج، وإبداء اللامبالاة، والتأخر أثناء الحصة الدراسية، أو حتى بعد الانصراف إلى الاستراحة، أو إلى الإقامة (المادة الرابعة).

2- يحظر عليهم الحديث إلى الاجانب عن المدرسة لأي سبب من الأسباب وذلك في خرجاتهم الميدانية، أو خلال استقبالهم الزيارات العائلية، ولا يسمح لهم ادخالهم إلى داخل المدرسة (المادة الخامسة).

3- ولا يسمح لهم بجلب اي شيء خارجي معهم كالتبغ وغيره، ولا حتى الكتب التي لا تقيدھا القائمة الرسمية (المادة السادسة والعشرون).

4- ويجب ان يبدي التلميذ تحفظاً في حديثه ومعاملاته اليومية مع عمال المدرسة، وان لا يتجاوز حدود وإطار واجباته، ولا يطلب منهم أي عمل شخصي (المادة السادسة).

5- اما شكاوى التلاميذ فتقدم مباشرة للمدير؛ عدا في الحالات الطارئة، وهذا لا يجب ان يتم الا في فترات الاستراحة (المادة السابعة).

6- ويستحسن ان يتسم سلوك التلميذ باللباقة والأدب من اجل ان يعكس "الصورة المثالية" و"القيمة الأخلاقية للمجتمع المتحضر" (المادة الاولى).

أما عن الدروس فكانت متنوعة جمعت بين التربية الدينية والأخلاقية، البيداغوجيا، الكتابة والقراءة والإملاء قواعد اللغة الفرنسية، الحساب والجبر والهندسة، الرسم، التاريخ والجغرافيا، مبادئ اساسية في: الميكانيك والصناعة، الفيزياء والكيمياء، علوم الطبيعة، بالإضافة إلى

الزراعة، الادارة والتربية المدنية، الاناشيد والعزف، الجمباز، اساسيات النظافة¹³. وما بين سنتي 1865 و1869م لم يتضمن البرنامج دروسًا في العربية، واستمر ذلك إلى غاية صدور توصية التقرير الاداري لمدرسة المعلمين (سنة 1869م)، ونصت على وجوب تلقين العربية الدارجة للشباب الاوروبي بالمدارس من أجل تسهيل التواصل بينهم وبين التلاميذ؛ لاسيما للمقبلين منهم على التدريس بالمؤسسات التعليمية المختلطة أو الاهلية¹⁴.

ونجد ان القانون الداخلي لمدرسة المعلمين لم يعدل سوى مرتين: الاولى سنة 1884م، والثانية سنة 1921م، ولم يشهد في كليهما سوى تعديلات بسيطة. وتضمن البرنامجان اليومي والاسبوعي للتلاميذ المعلمين؛ اللذين تميزا اجمالاً بالتركيز على ضرورة الالتزام بالنظام التام، واحتويا على قدر كبير من الحصص الدراسية والأنشطة المكثفة شتاءً وصيفاً، حيث تتوزع الدروس صباحاً لأربع ساعات (8.30 - 12.30) يليها تناول وجبة الغذاء، واستراحة قصيرة، ثم تستأنف الدروس إلى غاية 19.30 موعد تناول العشاء واستراحة، ثم العودة للأقسام لإنجاز الواجبات المطلوبة في هدوء، ودونما أي حديث أو ضجيج، وفي الدقائق العشر الاخيرة يؤدون الصلوات، يتوجهون بعدها إلى غرفهم للنوم؛ حيث يجدون كل مظاهر النظافة، واحتياطات الأمن متوفرة اذ تغلق النوافذ والأبواب، وهكذا ينتهي يوم طويل بصمت تام يدوم لسبع ساعات لا يسمع فيها سوى صفير الرياح، أو اصوات بعض الحيوانات البرية. اما امسيات الاحد والخميس (13.30 - 15.30) فتخصص لاستقبال الزوار والعائلات، او تستغل لكتابة الرسائل وممارسة بعض الهوايات، وتنظم فيها احيانا خرجات ميدانية وترفيهية¹⁵.

ومن التلاميذ الجزائريين في أول دفعة نجد عمار بن احمد من عنابة، وعطية بن بيوض من بوسعادة، وفاتح (بن) ابراهيم، وفي حين لم تتوفر لدينا معلومات كافية عن التلميذين الاول والثاني؛ اما الثالث فقد ذاع صيته، واحتفظ طويلا بصورته في الكتب التعليمية (إلى جانب صديقه

محمد بن شنب)، ولذلك نعطي عنه لمحة موجزة قصد التعريف بانجازاته وريادته في مجالات عدة.

ولد فاتح ابراهيم في 13 اوت 1850م بضواحي تيقصرين بالعاصمة، تابع دراسته بالمدرسة الابتدائية المختلطة بالبلدية، والتحق بالثانوية الامبراطورية بالعاصمة¹⁶، ومنها التحق بمدرسة المعلمين سنة 1865م بعد نجاحه في مسابقة الدخول. وبعد التخرج مارس فاتح التعليم بدون انقطاع (1869-1923م) في عدة مناطق منها مليانة واومال¹⁷، ثم استدعي لأداء الخدمة العسكرية، وواصل بعد تسريحه مهمته التعليمية بالأربعاء 1872م، وبالعاصمة 1874م، ثم من جديد بالأربعاء 1876م، وبالمدرسة المختلطة بالعاصمة عين نائباً للمدير: دوبيل Depeille سنة 1877م، فمديراً لمدرسة Rampe Vallé سنة 1882م، ومديراً لمدرسة ساروي Sarroy بالقصبة، والتي بنيت منذ سنة 1867م، وضمت 250 تلميذا أكثرهم فقراء¹⁸.

وعين فاتح ايضاً استاذاً للغة العربية بالمحكمة البلدية بالعاصمة سنة 1884م، وأنشأ في السنة الموالية بموافقة السلطة الفرنسية قسماً للكبار ضم 160 تلميذاً. ثم ترأس مدرسة خاصة بالجزائريين من 240 تلميذاً، وحصلت هذه المدرسة على الميدالية الذهبية في المعرض العالمي سنة 1898م، وعلى الميدالية الفضية سنة 1900م¹⁹.

واهتم فاتح ايضاً بالموسيقى "لأنها - حسب - تهذب الذوق، وتهدي الإحساس وتبعث التفاؤل"؛ فحرص على تعليم تلاميذه ذلك، وحققوا أولى المراتب في المسابقات بين المدارس. كما انه ألف العديد من الكتيبات التعليمية في النحو والصرف خاصة²⁰، وقيل ان بناته قد اخترن مهنة التعليم، وكن من الرائدات فيها. وقد كرم الأب فاتح - كما لقبه البعض - رسمياً من طرف العميد ارديون Ardillon، وبحضور أعلى سلطة سياسية حينها الممثلة في الحاكم العام للجزائر ستيق Steeg شخصياً، وذلك في حفل أقيم يوم 12 نوفمبر 1922 حضره أزيد من ثمانمئة (800) معلم. وحصل فاتح

ايضاً على عدة تشريفات منها: تنويه شرقي (1882م)، الميدالية الفضية (1890م)، ضابط الاكاديمية (1890م)، ضابط المعارف العامة (1901م). توفي سنة 1928²¹.

7- التحول إلى بوزريعة:

ابتداءً من موسم 1887-1888م حولت مدرسة المعلمين من وسط العاصمة إلى أعالي بوزريعة، وأعطانا مدير المدرسة دوبوي Dupuy أسباباً عديدة لذلك نذكر منها ما يلي:

1- تزايد عدد التلاميذ من سنة لأخرى، حيث بلغ 54 سنة 1887م، ولم يعد بإمكان بناية مصطفى استيعابهم؛ مما اضطر الادارة حينها لبحث حل كراء جانب محاذي للبنانية تعود ملكيته لأستاذ بالمدرسة (ابن سديرة).

2- بدأ تحرك وانهييار التربة منذ سنة 1877م، وقد ألحق أضراراً بالمدرسة، وتطلب إعادة ترميم بعض أجزائها وهكذا أوصى مجلس الادارة سنة 1880م بإعادة انشاء البناء من جديد على أسس متينة، أو التنقل إلى مكان آخر فوراً.

3- في بداية سنة 1888م انتشر فجأة وباء التيفويد، وزاد تحرك التربة ما فرض ضرورة الرحيل فوراً، ولم يكن حينها من مقر متاح سوى المبنى المعزول والمتواجد بأعالي بوزريعة²².

4- إذا تم الانتقال إلى بوزريعة مؤقتاً، ولم يكن متوقعاً ان يدوم ذلك طويلاً؛ خاصة ان المقر الجديد كان بدوره معرضاً للانزلاق إلى اسفل المنحدر، ثم ان الواجهتان الرئيسيتان للمبنى كانتا معرضتان للرياح الغربية والشرقية القوية في آن واحد؛ مما يجعله معرض للعواصف والأمطار والثلوج شتاءً، ويسمح بوصول آخر شعاع للشمس الحارة صيفاً. ومن جهة فإن بوزريعة كانت منطقة رطبة جداً مما جعلها تثير أزمات حادة ومتكررة من الروماتيزم. وقد عبر مجلس الادارة عن عدم ارتياحه في هذا "المنفى" بالنظر للظروف السابقة الذكر، وكذلك لأن المكان بعيد جداً عن وسط

العاصمة حيث تتوفر المكتبات، وقاعات المحاضرات، والمتاحف وغيرها. كما يصعب تنقل الطاقم الاداري من منازلهم إلى مقر عملهم، ويقضون أوقاتًا معتبرة في الذهاب والإياب، وأصبح وصول التموين للمدرسة مدعاة لزيادة في النفقات، فعبر الكل عن رغبته في تغيير المقر. لكن الأمر بقي على حاله؛ خاصة أن بوزريعة رغم كل ذلك وفرت الهدوء المطلوب، ولم يوجد بناء آخر قابل لأن يستوعب الأعداد المتزايدة للتلاميذ؛ لاسيما مع كثرة عدد المدارس في الجزائر²³.

ومن الأساتذة المسلمين الاوائل في المدرسة نجد: بلقاسم بن سديرة، محمد بن شنب، عمار سعيد بوليفة.

• الحياة العملية:

بعد تخرج التلميذ - المعلم ونيله للشهادة الأهلية او الأهلية العليا brevet, brevet supérieur يوجه للالتحاق باحدى المؤسسات التعليمية، لكن الملاحظ ان الفارق في الترسيم والراتب، وفي باقي الامتيازات بالنسبة للمعلمين الجزائريين تمثل في مسألة التجنيس، حيث اعتبر المعلم المسلم الذي لم يتجنس موظفًا ذو وضع خاص، اما زميله المتجنس فلا يتساوى ايضًا مع نظرائه الفرنسيين، وهكذا قسم خريجو مدرسة المعلمين الفرنسيين حسب الرتب الى:

- معلم مساعد متربص.
- معلم مساعد مرسوم.
- مديريختار من المعلمين المرسمين.
- اما تصنيف المعلمين المسلمين فهو:
- معلم متمرن(متدرب).
- معلم مساعد متربص.
- معلم مساعد مرسوم (اذا تحصل على الجنسية)²⁴.

وخضعت مدرسة المعلمين للسلطة والرقابة الادارية المتمثلة بداية في المفتش، ومدير التعليم، والحاكم العام بالجزائر²⁵.

• ملاحظات عامة:

1- ان التعليم الفرنسي الموجه للأهالي فرضته الظروف، وافرزه التحول في السياسة الاستعمارية من القوة والتدخل العسكري إلى تطبيق سياسة الإدماج وتوجيه التعليم لأغراض براغماتية، وفي هذا الصدد نجد رسالتان سريتان تعكسان الجدل الدائر في الأوساط الرسمية الفرنسية، وتوضحان نوايا وأهداف السياسة التعليمية بالجزائر، والتي كانت محل دراسة؛ احدهما للجنرال دوماس Daumas (رئيس مصالح الشؤون الجزائرية) يعود تاريخها الى 02 اوت 1850م، والرسالة الثانية للحاكم العام بالجزائر شارون Charon بتاريخ 19 اوت من نفس السنة؛ تبينان ان العسكريين بباريس وبالجزائر اظهروا كثيرًا من الحذر ازاء تعليم الأهالي، حيث ألحت الرسالة الاولى على عدم مصادمة كل التقاليد التعليمية، واقترحت محاولة تجديد التعليم في المدارس. اما بشأن مناقشات مجلس الحكومة فأكدت ان الهيئات المدنية على استعداد للقيام بتدخل عام في كل المجالات الصعبة، والتي مثل التعليم ابرز عناصرها، واعترفت الرسالة الثانية أيضًا أنه من الأفضل تنظيم ما يمكن تنظيمه "حتى نبقى احرارا في تصحيح الاخطاء"²⁶.

2- وضعت الادارة الفرنسية الشروط التعجيزية والعراقيل الكثيرة لقبول التلاميذ الاهالي بمدرسة المعلمين، لكن رغم ذلك فقد تمكن البعض من اجتيازها، بل وحققوا التفوق على الصعيدين الدراسي والمهني.

3- كثيرًا ما اثار التناقض الصارخ بين ما تلقاه التلاميذ المعلمين المسلمين والحياة اليومية لأهلهم وذوهم، فلجأوا إلى استحضار القيم المغروسة فيهم منذ الطفولة كمساعدة الغير، واحترام الكبار، والمواظبة على اداء الصلوات.. الخ، والتأكيد على أنها قيم مرسخة حتى قبل مجيء فرنسا،

وكان مثلاً فاتح ابراهيم (1850-1928م) يفتح درسه بكتابة الحديث الشريف: "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد"، كما تمسك محمد بن شنب وآخرون بلباسهم التقليدي حتى في المناسبات الرسمية²⁷.

4- لقد كان بعض خريجي مدرسة المعلمين يرغبون في مواجهة فرنسا بسلاحها، فكما أنها علمتهم على طريقتها لخدمة أهدافها؛ توجب عليهم أن يعلموا أبناء جلدتهم لتوعيتهم وتحريرهم على الأقل من الجهل والجمود في البداية.

5- حاول بعض المعلمين الأهالي الإنسحاب من ضغوط مهنة التعليم فتوجهوا إلى مجالات أخرى (والأمثلة كثيرة)، ولم تكن الرغبة هي جني مبالغ مالية مغرية، لكنهم أرادوا الحصول على مساحة أفضل وأكبر للتححر والتغيير والمشاركة.

6- ان فئة المعلمين رغم تدخل الاستعمار في توجيهها ومحاولة تدجينها، إلا أنها ميزت نفسها، وشكلت عائقاً أمام المهام المأمولة منها، وكثيراً ما فرضت الرقابة على بعض أفرادها.

7- ان وسائل التعبير التي استخدمها المعلمون هي نفسها تقريباً المتوفرة لغيرهم، اذا ما استثنينا فقط مؤسسة المسجد وملحقاتها، ونقصد من تلك الوسائل والمنابر على الأخص النشاط الصحفي، والجمعوي، والنوادي، والتجمعات، والتأليف... الخ.

• نماذج عن اهتمامات المعلمين المسلمين :

لأشك من الصعوبة تحديد مختلف التوجهات التي استقطبت المعلمين الجزائريين؛ المتجنسين منهم وغير المتجنسين، والأمر يعود في البداية لارتباط هؤلاء بوظيفة التعليم التي تفرض عليهم - بعد تكوين صارم - التزاماً أخلاقياً ومهنياً، وكذا رقابة من الهيئات الإدارية المسؤولة، وكل ذلك لا يسمح بإيجاد الوقت والتفكير في اهتمامات أخرى. لكن رغم ذلك وجدنا بعض النماذج "اللامعة" والمغمورة إلى حد ما؛ نذكر منها شخصين مختلفين في

التوجه والإهتمامات والمسار الفكري والسياسي هما شخصية رابح بوكابويا المدعو حاج عبد الله، ومحمد تازروت.

1- رابح بوكابويا (1871-؟؟):

ولد بميلة من عائلة ميسورة الحال، تخرج من مدرسة المعلمين ببوزريعة، وعمل معلما لفترة بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى قسنطينة في بداية سنة 1910م، وتقارب مع حركة الشبان هناك؛ خاصة مع مختار حاج سعيد وموسى بن شنوف، لكنه ترك التعليم ودخل المجال العسكري بمشاركته في الحرب العالمية الأولى؛ غير انه لم يلبث أن فر من صفوف الجيش الفرنسي، واستقر مؤقتا بإسطنبول، ثم في لوزان السويسرية، وغير اسمه إلى حاج عبد الله، وتولى دعم الدعاية الألمانية والعثمانية ضد فرنسا والحلفاء، ورغب في الدفاع عن الأمم الإسلامية، ودعا لضرورة إحياء مجد الخلافة الإسلامية، كما انه انتقد سياسة فرنسا تجاه الجزائريين المجندين لاسيما في الجبهات القتالية، وانتقد ايضا ممارسات الجنود السينغاليين، واتضح ذلك في مؤلفه: "الحرب المقدسة ودور الجيش الاسود" La guerre sainte et le rôle de l'armée noir، وكتب مؤلفات اخرى عن الاسلام والمسلمين دعا من خلالها ايضا إلى استقلال بلدان المغرب العربي؛ نذكر منها:

- الاسلام في الجيش الفرنسي (1915م) L'islam dans l'armée française

- المسلم في شمال افريقيا والجهاد (1915م) Le musulman d'Afrique du nord et le Djihad

وبعد الحرب العالمية الاولى استقر بالمغرب الأقصى ولم نعلم تاريخ وفاته²⁸.

2- محمد تازروت (1893-1973م):

ولد بضواحي عزازقة بالقبائل الكبرى سنة 1893م، من عائلة متدينة تنتمي لإحدى الزوايا، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ اللغة العربية مبكرًا، ولما التحق بالمدرسة الابتدائية بدا تفوقه الكبير على أقرانه فأرسل لإحدى الاكماليات بالجزائر العاصمة، ومنها لمدرسة ساروي الشهيرة بعد

حصوله على منحة سنة 1909م، ونجح بعد ذلك في الدخول لمدرسة المعلمين ببوزريعة²⁹.

ولما تخرج محند سنة 1912م وجه لممارسة مهامه التعليمية بإحدى ابتدائيات منطقة الثنية؛ لكنه سرعان ما انسحب بعد خلافات مع الإدارة، وسافر إلى الشرق في رحلة تأملية استكشافية بدأها سنة 1913م بمصر، وإيران، ثم روسيا، والصين، حيث تعرف إلى آداب ولغات وتراث تلك الدول، وغادر منها إلى أوروبا: إيطاليا، ألمانيا، إسبانيا، ثم المغرب الأقصى ومالي. ولكن الرحلة توقفت بعدما عاد للجزائر؛ فتم تجنيده سنة 1917م على الجبهة الفرنسية البلجيكية، وأسرتة القوات الألمانية.

وبعد تسريحه عمد محند من جديد إلى البحث والمطالعة، فتعمق في دراسة اللغة والحضارة الألمانية، وتابع دروساً في التاريخ والفلسفة، ووقف على تقنيات الترجمة، وشرع في نقل عدة مؤلفات من الألمانية إلى الفرنسية في أسلوب بسيط وشرح أوفى. كما أنه ألف عدة كتب في الفكر والسياسة والتربية وغيرها، برزت فيها ثقافته الموسوعية، وتمكنه من استيعاب تراكمات الفكر الانساني في مختلف البلدان والقارات، ويذكر انه قام بترجمة معاني القرآن الكريم للفرنسية. وقد استقر تازروت في بداية الستينات بالمغرب الأقصى، وربما توفي به سنة 1973م³⁰.

من مؤلفاته وكتبه المترجمة نذكر:

- Déclin de l'occident, Trad. De. Oswald Spengler, 1944.
- Les éducateurs sociaux en Allemagne moderne, ed. Payot, Paris, 1945, 3 T.
- L'état de demain, aise de sociologie politique, ed.PUF, Paris, 1953.
- La métaphysique intellectuelle d'extrême orient, 1955, T1.
- La foi religieuse du proche orient, 1955.
- Le capitalisme occidental depuis le XIV^e siècle, 1959, T4.
- Le communisme soviétique et la sociologie de la coexistence pacifique, 1960, T5.

- Au congres des civilises, ed.Subervie, Rodez (s.d).
- Manifeste contre le racisme, ed.Subervie, Rodez, 1963.
- L'Afrique du nord, ed.Subervie, Rodez, 1963.

• خاتمة:

نجد ان فئة المعلمين هي الأكثر عددا بين الفئات الجزائرية المتعلمة الأخرى، ويمكننا رصد الملامح العامة لتلك الفئة في ان اصولها في الغالب من الاوساط الريفية، والطبقة الحضرية المتوسطة، او تلك المرتبطة بالوظيفة والإدارة الفرنسية. كما انها تمتعت بوحدة فكرية وتعليمية باعتبارها خريجة مدرسة المعلمين، وهي ممارسة للتعليم وفقا للبرامج الرسمية؛ مما ابعداها نوعا ما عن مجالات الابداع والحرية. ووصفت هذه الفئة بأنها "احدى ركائز السلطة في الجزائر"³¹، لذلك تراوحت مكانتها وسط اخوانها بين الاحترام والتهكم، ولم تنل حظا من الثقة، ولا نصيبا من الراحة المادية نظرا لراتبها الهزيل مقارنة بذوي المهن الحرة.

ان محاولة المعلمين المسلمين الابتعاد - بعد فترة من الممارسة الوظيفية في التعليم - لا يقتصر في جوهره على محاولة البحث عن حياة مادية أفضل لأن اتجاهاتهم لم تعكس أبدا السعي لتحسين المستوى المعيشي، فلا الكتابة والصحافة والفنون، والحياة العسكرية، ولا حتى القضاء والمحاماة والترجمة كانت بأحسن حال من التعليم، انما ارتبط الامر بمحاولتهم التخلص من قيود الدائرة المغلقة التي جعلت منهم متلقين وملقنين لما تلقوه.

ولأن شريحة المعلمين وقفت عمليا على حيثيات وتفاصيل التمييز العنصري بينها وبين زملائها الفرنسيين؛ فانها اصبحت بالخيبة والإحباط ووجدت نفسها تمارس "صداما شاملا" يهدف لتمثيل وتكريس الهيمنة الإستعمارية، فمنها من قبله كخطوة للتغيير القادم، وهناك من رفضه بطريقته.

الملاحق:

- الملحق الاول:

2* **CONSTAN** 1872-1880

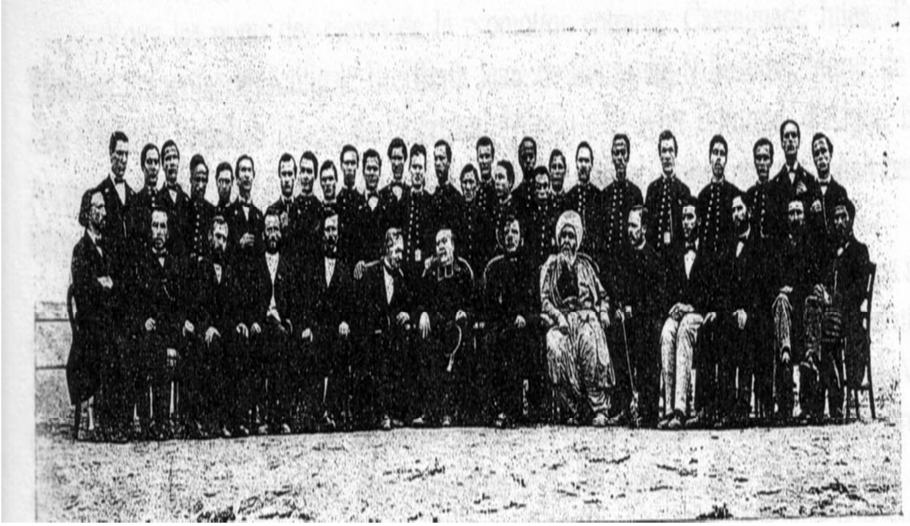
3* **GOY** 1880-1881

4* **CADORET** 1881-1885

5* **GROS** 1886-1888



- الملحق الثاني:



الدفعة الاولى لمدرسة المعلمين بمصطفى العليا بالعاصمة 1866-1869م

تلاميذ السنة الاولى

Jules CASSAGNADE (Alger) François REICHERT (Boufarik)
Jean BREFFEITH (Bouzarea) Marie VILLENEUVE (St Leu) Henri POUCHON
(Cherchell) Edmond LOUVIER (Alger) Alphonse EYRAUD (Kouba) Ben
Ahmed OMAR (Bone) Brahim FATAH (Alger) El Baiod ATTIA (Bou Saada)

تلاميذ السنة الثانية

Michel COTTE (EN Grenoble) Louis DEMONQUE (EN Poitiers)
Alfred GIRAUD (En Le Puy) Jean MONNERAS (EN Tulle) Clément PLANCON
(EN Besançon) Hyacinthe PELLISSIER (EN Barcelonnette) Armand
DENJEAN (EN Foix) Paul PAYAN (EN Gap) Jean ESCURRE (EN Tarbes)
Jean PAGES (EN Tarbes)

تلاميذ السنة الثالثة

Pierre PROUZAT (EN Poitiers) Etienne BARTHELEMY (EN Le Puy) Jean
FOUGEROUSSE (EN Clermont Ferrand) François DORDOR (EN Besançon)
Julien BAQUE (EN Tarbes) Joseph HILAIRE (EN Gap) Joseph PICARD (EN
Bourg) Auguste GRANIER (EN Barcelonnette) Antoine BOUCAY (EN Rodez)
Jean DUBOURG (EN Bourg)

- الملحق الثالث:



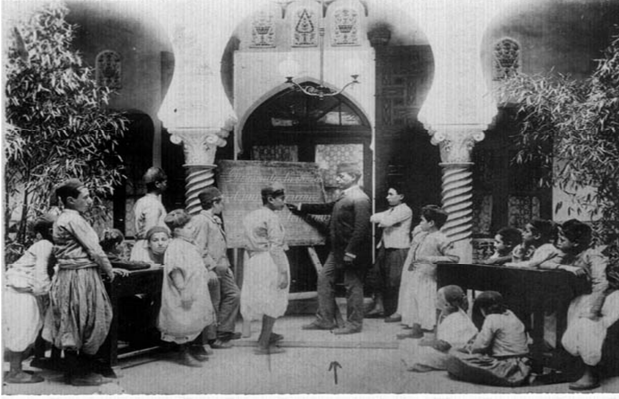
مجموعة اساتذة المدرسة في نهاية الثمانينات من القرن 19م ونجد منهم الجزائري
عمار سعيد بوليفة

- الملحق الرابع:



احدى دفعات مدرسة بوزريعة الخاصة بالتلاميذ المسلمين

- الملحق الخامس:



• الهوامش والاحالات:

¹ نجد العديد من الكتابات المصدرية الهامة عن موضوع التعليم نذكر منها مثلاً:

- H. Le Bourgeois : Rapport d'inspection générale sur la situation de L'enseignement primaire en Algérie, Paris, 1880.
- Gustave Benoist : L'instruction et de l'éducation des indigènes dans la province de Constantine, ed. Hachette & Cie, Paris, 1886.
- Cousson : Les instituteurs algériens : la nouvelle législation sur l'instruction primaire en Algérie, Paris, 1888.
- Alfred Rambaud : L'enseignement primaire chez les indigènes d'Algérie et notamment en grande Kabylie, impr. Lagrave, Paris, 1892.
- Vivarez : L'instruction de la femme musulmane, Alger, 1895.

² للتفصيل انظر:

عمار هلال: **ابحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962م)**, OPU, الجزائر, 1995, ص 104-105.

³ ابو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**, دار البصائر، الجزائر، ط6، ج3، ص 413.

⁴ Guy Perville, : Les étudiants algériens dans l'université française (1880- 1962), ed. Casbah, Alger, 1997, p 66.

⁵ Maurice Polard : L'enseignement pour les indigènes en Algérie, Faculté de droit, Université de Paris, impr. Gojosso, Alger, 1910, p 92.

⁶ Aimé Dupuy : Bouzarea : histoire illustrée des écoles normales d'instituteurs d'Alger / Bouzarea, ed. Fontana, Alger, 1937, p 15.

⁷ الواقعة حالياً بساحة أول ماي.

⁸ Aimé Dupuy : *ibid*, p 15.

⁹ بعد الحرب العالمية الأولى أصبحت مدة الدراسة أربع سنوات؛ مع ملاحظة أن الأهالي يدرسون علماً اضافياً مقارنة بالأوروبيين، وذلك من أجل إتقان اللغة الفرنسية. انظر:

Fanny Colonna : Instituteurs algériens (1883- 1939), ed. OPU, Alger, 1975, p 21.

¹⁰ سعد الله، المرجع السابق، ج 03، ص 416.

¹¹ سعد الله، نفس المرجع، ص 415.

¹² انظر نص القانون مع تعديلاته في:

Aimé Dupuy : op.cit, p 23. voir aussi :
Fanny Colonna, op.cit, p 222- 225.

¹³ انظر برنامج التعليم بأكثر تفصيل في:

Aimé Dupuy : op.cit, p 45.

¹⁴ Fanny Colonna, op.cit, p 223.

¹⁵ Rapport de la commission de surveillance (08/11/1866).

¹⁶ سميت هذه الأخيرة كذلك لأن الامبراطور نابليون الثالث كان قد دشنها سنة 1857م، وهي قد أنشأت أساسا لاستقبال أبناء الالعيان والحضر المرتبطين خاصة بالإدارة.

¹⁷ سور الغزلان حاليًا، وكان قد عايش فيها انتفاضة سنة 1871م.

¹⁸ Aimé Dupuy : op.cit, p 82.

¹⁹ Aimé Dupuy : ibid, p 83.

²⁰ - Syllabaire et exercices de langage arabe, 2 ed, 1894.

- Notes et lexique 1897.

- Leçons de lecture et de récitation d'arabe parlé.

- Méthode directe pour l'enseignement de l'arabe parlé avec illustrations 1904.

²¹ Ismail Hamet : Les musulmans français du nord de l'Afrique, ed. A.Collin, Paris, 1906, p 197- 198.

²² Dupuy, op.cit, p 23.

²³ Dupuy, ibid, p 24- 25.

²⁴ سعد الله، المرجع السابق، ص 420.

²⁵ Fanny Colonna, op.cit, p 19.

²⁶ Yvonne Turin : Le général Daumas et l'instruction : Deux textes inédits du 02 aout et du 19 aout 1850, Revue d'histoire maghrébine, N° 07-08, Jan 1977, pp 245- 250.

²⁷ Voir : Aimé Dupuy : ibid, p 82.

²⁸ Med Soulah : Nos troupes d'Afrique et l'Allemagne, Revue africaine, N° 60, 1919, pp 494- 520. Voir aussi : Guy Perville, op.cit, p 84.

²⁹ جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850 - 1950م)، تر. محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص ص 160- 165.

³⁰ Abdelali Merdaci : Auteurs algériens de langue française (1833-1962), ed.Chihab, Alger, p 216.

³¹ انظر مثلا انطباعات معلم اهلي عن بدء التعلم في دائرة بني بني بالقبائل الكبرى سنة 1883 في : عبد الحميد زوزو: **مصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1900م)**، ص 311.